ابن دقيق العيد
وجهوده في خدمة السنّة وعلوم الحديث

■ بقلم الاستاذ الدكتور محمد الرعود
والاستاذ ابراهيم احمد الشردوب

❖ المقدمة:

إن الله لم يخلق الإنسان عبثاً، ولم يتركه سدى، بل خلقه لعبادته، وجعل العبادة وظيفة لا تقوم الحياة إلا بها، ولمكانة هذه الوظيفة وأهميتها، استحقت كل ذلك الحشد الكريم من رسل الله وأنبيائه، ومن أجل بيانها وتفصيل أحكامها ومقوماتها، تنزلت الكتب المطهرة، التي كان آخرها القرآن الكريم الذي انزل على نبي الإنسانية ورسول الله إلى العالمين محمد ﷺ وجعل الله لكتابه خصائص يختص بها منها أنه معجز بلفظه ومعناه، وأنه مصدق لما قبله من الكتب ومهيمن عليها.

وحتى لا يكون للناس على الله حجة، أمر الله الرسول ﷺ أن يبين كتابه فقال تعالى: **﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم﴾**(١) وهو بيان الصادق المطاع، الذي أمر الله بمحبته، والتزام طاعته وحذر من مخالفته وعصيان أمره، فقال تعالى: **﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم﴾**(٢).

وقال: **﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾**(٣)، وأمرهم بسنته لأنها الترجمة العملية لكتاب الله والتطبيق المعصوم لأحكامه، إلى جانب ما فيها من البيان الواضح، والمنهاج القويم والأمان من الزيغ والضلال.

● ومن نعم الله تعالى علينا العلماء العاملون؛ فهم حجة الله في أرضه وبهم يعرف الخطأ من الصواب والهدى من الغي والضلال.

● وتاريخنا الإسلامي "بحمد الله" حافل بالعلماء العاملين، الذين تحلوا بصفة العلم والعمل والتقي والزهد والجرأة في قول الحق والمحافظة على حدود الشرع.

● وكان قاضي القضاة تقي الدين محمد بن علي بن وهب بن دقيق العيد، أحد هؤلاء العلماء العاملين، ومن أساطين الفكر وأئمة الدين، وممن يبتغون بعلمهم وجه الله والدار الآخرة، ويخشون الله في أقوالهم وأفعالهم، من أجل ذلك وغيره، أردنا في هذا البحث أن نتناول سيرة هذا العالم الكبير ونتعرف على جهوده في الحديث و علومه، وارتأينا تسمية بحثنا بـ **"ابن دقيق العيد وجهوده في خدمة السنّة وعلوم الحديث"** وجعلنا بحثنا هذا في مقدمة وفصلين وخاتمة على النحو التالي:

الفصل الأول: التعريف بابن دقيق العيد، وفيه اربعة مباحث:

المبحث الأول: نسبه ومولده وحياته.

المبحث الثاني: مولده ونشأته.

المبحث الثالث: طلبه العلم، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أساتذته ومن روى عنهم.

المطلب الثاني: صبره وجلده في طلب العلم.

المبحث الرابع: تصديه للقضاء والتدريس وثناء العلماء عليه، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تصديه للتدريس.

المطلب الثاني: تصديه للقضاء.

المطلب الثالث: ثناء العلماء عليه وآراؤهم فيه.

المطلب الرابع: وفاته.

الفصل الثاني: جهود ابن دقيق العيد في الحديث الشريف، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: رواية الحديث عند ابن دقيق العيد.

المبحث الثاني: جهود ومؤلفات ابن دقيق العيد في الحديث الشريف، وفيه ثلاثة مطالب:

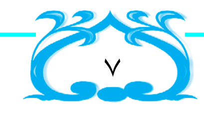
المطلب الأول: كتبه في علم الحديث رواية.

أولا: كتاب الإلمام في أحاديث الأحكام.

ثانياً: كتاب شرح الأربعين النووية.

ثالثاً: كتاب الإمام في معرفة الأحكام .

رابعاً: كتاب أربعون حديثاً تساعية الإسناد.



خامساً: كتاب الأربعون حديثا في الرواية عن رب العالمين.

المطلب الثـاني: كـتـبـه في علم الحـديث دراية.

أولاً: كتاب الاقتراح في معرفة الاصطلاح.

ثانياً: كتاب طبقات الحفاظ .

المطلب الثالث: مؤلفاته في العلوم عامة .

الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث .

❖ الفصل الأول: التعريف بإبن دقيق العيد، وفيه ثلاثة مباحث:

■ المبحث الأول: نسبه ومولده وحياته، وفيه مطلبان:

● المطلب الأول: اسمه و نسبه و لقبه:

هو محمد بن علي بن وهب بن مطيع ابن أبي الطاعة القشيري المنفلوطي الصعيدي القوصي المشهور بابن دقيق العيد: ابن الشيخ القدوة العالم مجد الدين المنفلوطي المصري[٤].

ولا خلاف بين من ترجموا له في اسمه و كنيته ولقبه، ولا في اسم أبيه واسم جده الأول واسم جده الثاني ولا في اسم جده الثالث، إلا أن بعضهم اقتصر على ذكر اسمه واسم أبيه واسم جده الأول، وعلى لقبه وبعضهم فصّل وذكر كنيته و اسم جده الثاني واسم جده الثالث، كالأدفوني[٥] وابن عماد الحنبلي[٦].

وسبب تسميته بابن دقيق العيد، هو أن جده الثاني مطيعاً كان عليه يوم عيد طيلسان شديد البياض، فقال بعضهم: كأنه دقيق العيد فلقب به رحمه الله تعالى[٧].

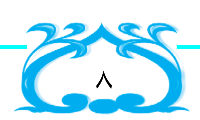
أما تسميته بالقشيري، فلأنه من أحفاد المحدث بهرز بن حكيم القشيري كما ذكر ذلك ابن حجر في الدرر الكامنة[٨]، وبهرز بن حكيم هذا من قبيلة قشير.

أما نسبته إلى منفلوط، فلأن أباه علي ابن وهب ولد فيها ونشأ وترعرع بين ربوعها، حتى ولي الحكم فيها.

أما نسبته إلى قوص فلأن أباه رحل إلى قوص في صعيد مصر، فنشأ الشيخ تقي الدين فيها وأخذ باكورة علمه من علمائها، كما ولي التدريس و القضاء فيها.[٩]

وأما بالنسبة إلى نسبه من جهة أمه، فالصحيح هو ما ذكره الأدفوني والأسنوي وهو وهو أنها بنت الشيخ المقترح فأصله كريمان وأبواه عظيمان.

وكنية جده وهب أبو العطايا وهو أول



من عرف بابن دقيق العيد ولقب أبيه مجد الدين وكنيته أبو الحسن وذلك باتفاق جميع من ترجموا له.

● **المطلب الثاني مولده ونشأته:**

ولد الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد يوم السبت الخامس و العشرين من شعبان سنة ٦٢٥ هجري في سفينة شراعية كانت تمخر مياه البحر الأحمر، على مقربة من ثغر ينبع، وأبواه في طريقهما إلى الحجاز متوجهان لأداء فريضة الحج.

وهي مناسبة طيبة وعلامة فارقة تلك التي تحدث للإنسان عند مولده، فهي مؤشر صلاح و علامة رضىً إن شاء الله تعالى.

وطاف به والده حول الكعبة ودعا له أن يجعله الله من علماء الأمة العاملين[١٠]، وهذا الذي ذكرناه هو محل اتفاق بين معظم الذين ترجموا له، وذلك بالنسبة للسنة التي ولد فيها وأنه ولد على ظهر سفينة شراعية قريباً من ساحل ينبع وأبواه متوجهان للحج **وغنما** حصل خلاف في أمرين:

الأول: بالنسبة للشهر الذي ولد فيه.

الثاني: بالنسبة لتاريخ ذلك اليوم من ذلك الشهر.

وهنا نود أن نذكر الراجح من هذه الأقوال فهو ما يعنينا، ونترك التفصيلات والآراء الأخرى لمن أراد الرجوع إليها من مصادرها.

فالصحيح هو ما ذكره جمهور المؤرخين ممن ترجموا لابن دقيق العيد، وهو أنه كان في شهر شعبان وفي الخامس والعشرين منه.

ونشأ ابن دقيق العيد في قوص بين أسرة كريمة، تعد من أشرف بيوتات الصعيد وأكرمها حسباً ونسباً، وأشهرها علماً وأدباً.

بدأ ابن دقيق العيد طريق العلم بحفظ القرآن الكريم، ثم تردد على حلقات العلماء في قوص فدرس الفقه المالكي على أبيه، والفقه الشافعي على تلميذ أبيه البهاء القفطي ودرس علوم العربية على محمد أبي الفضل المرسي، ثم ارتحل إلى القاهرة واتصل بالعز بن عبد السلام فأخذ منه الفقه الشافعي والأصول ولازمه حتى سنة ٦٦٠ هـ وسمع من علمائها ثم عاد إلى مصر[١١].

■ **المبحث الثاني: طلبه للعلم:**

كان ابن دقيق العيد مكباً على طلب



العلم منذ نشأ في قوص في صعيد مصر، وكانت قوص آنذاك لا تقل كثيراً عن مصر القديمة أو القاهرة من حيث وفرة رجال العلوم الدينية واللغوية، وقد كثرت فيها المدارس، فكان فيها ستة عشر مكاناً للتدريس، ومن بينها دار الحديث التي كانت في بيت ابن دقيق العيد، فقد كانت منبع العلم والعلماء.

وأول ما بدأ علمه بقراءة كتاب الله الحكيم على والده، ومنه تلقى مبادئ العلوم الشرعية و العربية، ودرس عليه فقه المالكية، كما سمع منه الحديث وقرأ عليه الأصول، ودرس فقه الشافعية على تلميذ أبيه القاضي بهاء الدين هبة الله بن عبد الله العذري القفطي، وحضر عند القاضي شمس الدين محمد بن محمود الأصفهاني كما كان حاكماً بقوص، ودرس عليه علم الأصول، وقرأ العربية على الشيخ شرف الدين محمد بن أبي الفضل المرسي وغيره.

ثم رحل إلى القاهرة، فقرأ على شيخ الإسلام أبي محمد العز بن عبد السلام فقه الشافعية، ورحل إلى الإسكندرية والشام والحجاز وغيرها طلباً للفقه والحديث.

وقد سمع الحديث من والده كما سمع الحديث من علي بن الحسن البغدادي المعروف بابن المقير، وعلي بن هبة بن سلامة الشافعي المعروف بابن الجميزي، وعبد الوهاب بن ظافر بن رواج الإسكندري المعروف بابن رواج، وأحمد بن محمد بن عبد العزيز المعروف بابن الحباب ومحمد بن محمد التيمي البكري وغيرهم.

وممن سمع منه في دمشق أحمد بن عبد الدايم المقدسي مسند الشام و فقيهها ومحدثها و خالد بن يوسف النابلسي.

وأكثر من تأثر به من الفقهاء الذي كان الأب الروحي له العز بن عبد السلام، حيث ورث عنه علمه واجتهاده وتقواه وجرأته في الحق، وكان أنبه تلاميذه ومن المعجبين به، وهو الذي لقبه (بسلطان العلماء)[١٢].

إن في صبر ابن دقيق العيد و جلده في طلب العلم، عظة و قدوة لطلبة العلم و العلماء في زماننا الحاضر حيث ضعفت الهمم وتقاصرت وركنت النفوس إلى الراحة والدعة.



كان الشيخ تقي الدين رحمه الله منقطعاً للعلم والعبادة، فكان لا ينام الليل إلا قليلاً فكانت أوقاته معمورةً بالدرس والمطالعة والتحصيل أو الإملاء والتأليف ورواية الحديث، فإن أراح نفسه من بعض ذلك العناء فلا يرى إلا قائماً يصلي في المحراب، أو جالساً يتلو كلام الله أو ماشياً يتفكر في خلق الله، متدبراً صنعه، مستدلاً بذلك على قدرة الله ووحدانيته، فهو منصرف بجسمه وفكره، سواد ليله و بياض نهاره إلى البحث والتدقيق والاستنباط والتحقيق أو الصلاة والقيام، وتقديس الملك العلام.(١٣)

قال السبكي(١٤): أما دأبه في الليل علماً وعبادة فأمر عجاب، ربما استوعب الليل فطالع مجلداً أو مجلدين، وربما تلا آيةً فكررها إلى مطلع الفجر.

وقال أحمد أحمد بدوي بعد أن ذكر درجته العلمية ما نصه(١٥): وقد ساعده على بلوغ هذه المنزلة من العلوم ذكاء ممتاز، ودأب على التحصيل، وسهر بالليل للدرس، وشره في القراءة، وغرام بالإطلاع، وحافظة قوية.

وقال ابن حجر(١٦): قرأت بيد الشيخ الحافظ أبي الحسين بن أيبك المصري وسمعت الصاحب شرف الدين محمد بن الصاحب زين الدين أحمد بن الصاحب بهاء الدين رحمه الله تعالى قال: كان ابن دقيق العيد يقيم في منزلنا بمصر في غالب الأوقات، فكنا نراه في الليل إما مصليا وإما ماشيا في جوانب البيت وهو مفكر إلى طلوع الفجر.

فإذا صلى الفجر إضطجع إلى صحوه، قال الصاحب شرف الدين: وسمعت الشيخ الإمام شهاب الدين أحمد ابن إدريس العراقي المالكي يقول: أقام الشيخ تقي الدين أربعين سنة لا ينام الليل، إلا أنه كان إذا صلى الصبح إضطجع على جنبه إلى حيث يتضحى النهار.

وهكذا على طلاب العلم في هذه الأيام عليهم أن لا يضيعوا أوقاتهم إلا فيما يرضي الله عز وجل وأن يجعلوا تقوى الله نصب أعينهم فلا يكفي الانشغال بطلب العلم عن العبادة و التوجه الصادق إلا لله لأنه المسدد والمعين والهادي إلى الطريق المبين.

■ المبحث الثالث: تصديه للتدريس والقضاء وثناء العلماء عليه ووفاته: وفيه



اربعة مطالب:

● **المطلب الأول: تصديه للتدريس:**

نستوحي في هذا المطلب لمهمة التدريس التي قام بها الشيخ ابن دقيق العيد وأهم المدارس التي درس فيها وذلك لما في وظيفة التدريس من أهمية في صقل شخصية الإنسان وزيادة مهاراته وقدراته وكذلك فهي دليل عطاء وبذل و اجتهاد ومثابرة .

بدأ التدريس في مدينة قوص في المدرسة النجيبية[١٧]، كما درس في دار الحديث التي بنيت له وصارت تعرف بالمدرسة السابقية، وقصده طلاب العلم من أقاصي الصعيد ومن كل مكان، وظفر بشهرة واسعة وتقدير عميق، وبعد أن عم النفع به في قوص خاصة، والصعيد عامة، رحل إلى القاهرة مركز السلطنة وذلك لنشر علمه وتنمية مواهبه.

حيث كانت القاهرة تغص بدور العلم والمدارس وطلبة العلم و الكتب العلمية، ولقد كان لتلك المدارس جوها الخاص الذي يساعد الطلبة على الانتظام فيها دون تبعات مالية أو عقبات أو ما شابه ذلك، بل كان الجو فيها مهيئا للتحصيل والمثابرة والإبداع.

ومن مزايا هذا التعليم وأساليبه أنه كان يترك للطالب أن يختار شيخه وكتابه تبعاً لميله الخاص، وقدرته الشخصية وكفاءته العلمية، فإذا سلك السبيل وبلغ الغاية سما قدره وبزغ نجمه، وإلا نكص على عقبيه، فعاد وطلب العلم أو انحرف إلى حرفة.

وكان ثم ما يشبه الشهادات الدراسية الحديثة وهي (الإجازات العلمية) وهي شهادة شخصية يمنحها أحد أعلام العلماء إلى أحد طلابه، ويشهد فيها أن الطالب المذكور قرأ عليه كتاب (كذا) قراءة فهم وتدبر ومعرفة، أو أنه مهر بالفقه مثلاً وأصبح أهلاً للإفتاء، أو أنه أجازه به، أي صرح له بمزاولته، أو أنه بزغ بالأدب وأصبح كفءً راوية كتاب فيه، أو ديوان، أو أنه سمع عنه جملة من أحاديث الرسول ﷺ ورواها عنه بسندها، وحفظها بهذا السند أو أنه أجاز له روايتها عنه، باعتباره حافظا جديدا من حفاظها[١٨].

أما أشهر المدارس التي كانت موجودة في عصره في الفسطاط والقاهرة فهي: الجامع الأزهر، المدرسة الصالحية،

المدرسة الفاضلية، المدرسة الصلاحية، وجامع عمرو بن العاص، المدرسة الكاملية، المدرسة الناصرية بالقرافة، المدرسة الظاهرية والمدرسة المنصورية وقد درس ابن دقيق العيد في ستة منها وهي:

١. **المدرسة الفاضلية:** وكان ابن دقيق العيد يدرس فيها المذهب الشافعي والمالكي[١٩].

٢. **المدرسة الكاملية:** وكانت تعرف بدار الحديث والتي بناها وأنشأها الملك الكامل ناصر الدين محمد بن العادل الأيوبي، وكان ابن دقيق العيد يسكن فيها وقد تولى مشيختها[٢٠].

وقد ظلت المدرسة الكاملية عامرة بكبار العلماء المشتغلين في علم الحديث الشريف حتى عام(٨٠٦) للهجرة ثم ولي أمرها من لم يحسن القيام بها فأخذت في الزوال.

٣. **المدرسة الناصرية بالقرافة:** أنشأها السلطان صلاح الدين الأيوبي و أوقف عليها عدة أوقاف وأقام عليها دروساً للشافعية[٢١].

٠٤ **المدرسة الصلاحية:** أنشأها السلطان صلاح الدين الأيوبي عام (٥٧٢)هـ بجوار قبة الشافعي وتولى التدريس فيها شيخنا ابن دقيق العيد، كما تولى التدريس فيها فيما بعد ابن حجر العسقلاني وغيره من كبار العلماء.[٢٢].

٠٥ **المدرسة الصالحية:** أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب عام (٦٣٩)هـ وكانت تتكون من أربع مدارس معاً، واحدة لكل مذهب من المذاهب الأربعة وهي أول مدرسة أنشئت على هذا النمط[٢٣].

٦. **المدرسة المنصورية:** وأنشأها الملك المنصور قلاوون ورتب فيها دروساً بالمذاهب الأربعة ودرساً في الطب، كما رتب بقبته المجاورة لهذه المدرسة درساً في الحديث ودرساً في التفسير، وميعاداً للوعظ، وعني باختيار مدرسيها عناية تامة وكان ابن دقيق العيد يدرس في القبة[٢٤].

وأما أشهر تلاميذه: فقد تتلمذ على الشيخ خلق كثير في قوص والقاهرة وكان من أشهر تلاميذه، القاضي عماد الدين ابن الأثير الحلبي الشافعي الذي استملى منه كتاب إحكام الأحكام، والشيخ فتح الدين محمد بن سيد الناس، وقطب الدين عبد الكريم بن عبد النور الحلبي، وقاضي القضاة علاء الدين القوني، وقاضي

القضاة علاء الدين الأخنائي وغيرهم.

● **المطلب الثاني: تصديه للقضاء:**

لاحظنا من خلال ما سبق أن العالم الجليل ابن دقيق العيد قضى معظم حياته منشغلاً بطلب العلم والتدريس والإفتاء، متنقلاً بين المدارس العلمية بين شيوخ وتلاميذ إلا أنه وفي أواخر حياته وفي السبعين من عمره تولى القضاء، حيث عين قاضياً للقضاة الشافعية في عهد السلطان كتبغا، وكان ذلك سنة ستمائة وخمس وستين هجرية (٦٦٥ هـ).

وقد ولي القضاء قبل ذلك في قوص، وباشره فيها عن المالكية مدة، أثناء إقامته وتدريسه فيها، وذلك بعد تعدد منصب قاضي القضاة، وفق تعدد مذاهب أهل السنة، وهي المذاهب الأربعة[٢٥].

وكان منصب قاضي القضاة في ذلك الوقت بمثابة وزير العدل، بل أشرف منزلة وأعظم خطراً، إذا كان السلطان إذا أراد أن يستنفر الناس للجهاد، أو شاء أن يأخذ منهم أموالهم لتجهيز الجيش والتقوي على العدو، لا يستطيع أن يفعل شيئاً من ذلك، حتى يقره على ذلك قاضي القضاة، كما كان يجلس مع السلطان لقضاء المظالم، ومن هنا كانت الصلة وثيقة بين القضاة والسلاطين والأمراء.

وقد اعتبر بعض تلاميذ ابن دقيق العيد وبعض من أرخوا له، أن قبوله لهذا المنصب زلة من زلاته، فقد نقل ابن حجر[٢٦] عن تلميذه ابن سيد الناس فتح الدين اليعمري قوله: لو لم يدخل في القضاء لكان ثوري زمانه وأوزاعي أوانه.

ونقدهم هذا في توليه القضاء فيه نظر كما سيظهر، فقد تولى القضاء بعد إباء شديد كما ذكر ذلك السبكي في طبقاته و الصلاح الصفدي في أعيان العصر والأسنوي وغيرهم من الثقات[٢٧].

قال الأسنوي في توليه القضاء: فلما مات القاضي تقي الدين بن بنت الأغر سألوه في القضاء فامتنع، فتحيلوا عليه فقالوا له عن شخصين لا يصلحان عنده للقضاء: إن فلاناً وفلاناً قد انحصر الأمر فيهما إن لم تفعل، والظاهر أنه كان كذلك، فرأى أنه قد وجب عليه القبول، فقبل حينئذ.

ومن هنا نعلم أن ابن دقيق العيد ما قبل منصب قاضي القضاة إلا بعد أن علم بأنه سيؤول إلى من لا يستحقه، ولا تتوفر

فيه شروط منصب القاضي العادل، فوجد الأمر لازماً عليه أن يقبله، لتعينه عليه بحيث لو رفض لوقع في الإثم، فأصبح قبوله واجباً دينياً لا مناص من القيام به.

وكان رحمه الله متبرماً بمنصب قاضي القضاة، فقد نقل الأدفوني(٢٨) نفسه عن الشيخ شمس الدين بن عدلان أنه قال له مرة: والله ما أخار الله لمن يلي بالقضاء، ثم قال له: يا فقيه، لو لم يكن إلا طول الوقوف للسؤال و الحساب لكفى، ثم عزل نفسه مرة بعد مرة إلا أنه كان يسأل فيعاد إليه(٢٩).

وكم خدعت الرياسة كثيرا من العلماء، فساروا وراء المظاهر والأبّهة والخيلاء، فباعوا دينهم بدنياهم، فنقص قدرهم، وأسقطت قيمتهم في نظر العامّة والخاصّة أما ابن دقيق العيد فكان مثال الصرامة والحزم، فلم يدار ولم يجار في سبيل المحافظة على المنصب، كما لم تأخذه في دين الله والحق لومة لائم، ثمّ كان إذا سمع ما يكره عزل نفسه، فرفع منصب القضاء قدره، كما رفع هو منصب القضاء.

وكان له مواقف حسنة وشجاعة وحازمة تدلّ على تمسكه بالحق ودفاعه عنه وتأثره بشيخه العز بن عبد السلام؛ فهو أبطل بدعة خلع ملابس الحرير على القضاة وغيّرها للصوف، وأستاذه العز أبطل بدعة حمل السيف على المنبر و لبس السواد أثناء الخطبة وأبطل صلاتيّ الرّغائب و نصف شعبان، و منع منهما لعدم صحّة ذلك عنده.

وإسقاطه لشهادة نائب السلطنة وإنشاده للرسول ذلك البيت الذي يدلّ على عدم اعتبار شهادة المماليك، يشبه إفتاء الشيخ العز بن عبد السلام بإسقاطه شهادة المماليك لعدم ثبات حريتهم عنده، هذه المواقف وغيرها الكثير تظهر أثر شخصيّة العز بن عبد السّلام على شيخنا ابن دقيق العيد، من إخلاص للعلم، ونزاهة في القضاء، وشجاعة في الجنان، وجرأة في الحق وعدم تعلّق بالدنيا وزينتها(٣٠).

● المطلب الثالث: ثناء العلماء عليه وآراؤهم فيه:

لقد وصفه كثير من المؤرخين وكتاب التراجم والطبقات كالسبكي وابن فضل الله العمري والأدفوني وغيرهم، بأنه لم يزل حافظاً للسانه مقبلاً على شأنه، وقف

نفسه على العلوم وقصدها، فأوقاته كلها معمورة بالدرس والمطالعة أو التحصيل والإملاء.

قال عنه ابن سيد الناس: "لم أر مثله فيمن رأيت، ولا حملت عن أجلّ منه فيما رأيت ورويت، وكان للعلوم جامعاً وفي فنونها بارعاً، مقدماً في معرفة علل الحديث على أقرانه، منفرداً بهذا الفن النفيس في زمانه، بصيراً بذلك شديد النظر في تلك المسالك وكان حسن الاستنباط للأحكام والمعاني من السنة والكتاب مبرزاً في النقلية والعقلية"[٣١].

وقال عن الأدفوني في طالعه السعيد: كان له قدرة على المطالعة، رأيت خزانة المدرسة النجيبية بقوص فيها جملة كتب من جملتها عيون الأدلة لابن القماز في نحو ثلاثين مجلدة وعليها علامات له، وكذلك رأيت في المدرسة السابقية السنن الكبرى للبيهقي على كل مجلدة علامة له أيضاً[٣٢].

يحكى أن ابن عبد السلام كان يقول: ديار مصر تفتخر برجلين في طرفيها، ابن منير بالإسكندرية، وابن دقيق بقوص.

كان "رحمه الله" -مع غزارة علمه- ظريفاً، له أشعار، وملح وأخبار[٣٣].

قال الذهبي في معجمه[٣٤]: قاضي القضاة بالديار المصرية وشيخها وعالمها، الإمام العلامة، الحافظ القدوة الورع، شيخ العصر، كان علامة في المذهبين، عارفاً بالحديث وفنونه، سار بمصنفاته الركبان.

قال السبكي في الطبقات الكبرى[٣٥]: ولم ندرك أحداً من مشايخنا يختلف في أن ابن دقيق العيد العالم المبعوث على رأس السبعمائة، وأنه أستاذ زمانه علماً وديناً.

قال ابن كثير في طبقاته[٣٦]: أحد علماء وقته، بل أجلهم وأكثرهم علماً وديناً، وورعاً وتقشفاً، ومداومة على العلم في ليله ونهاره مع كبر سنه وشغله بالحكم وله التصانيف المشهورة، والعلوم المذكورة، برع في علوم كثيرة لا سيما في علم الحديث، فاق فيه أقرانه، وبرز على أهل زمانه، رحلت إليه الطلبة من الآفاق، ووقع على علمه وورعه وزهده الاتفاق.

ومن مآثره: يقال: إنه طالع كتب المدرسة الفاضلية بالقاهرة عن آخرها، وقد كان دأبه أن يقضي الليل في المطالعة

والعبادة، فكان يطالع في الليلة الواحدة المجلد أو المجلدين، وربما تلا آية واحدة من القرآن الكريم فكررها حتى مطلع الفجر.

استمع له بعض أصحابه ليلة وهو يقرأ فوصل إلى قوله تعالى: **﴿فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون﴾** قال: فما زال يكررها إلى طلوع الفجر، من أقواله: "ما تعلمت كلمة ولا فعلت فعلاً، إلا وأعددت له جواباً بين يدي الله عز وجل".

من سماته: كان "رحمه الله" مغرماً بالقراءة، كثير النقد والتحري والتدقيق فيما يقرأ، لا يقبل الشيء من غير أن يعمل فيه فكره فيقبله أو يرفضه.

وكان "رحمه الله" في قضائه وآرائه وفتواه مثلاً أعلى للصدق والعدالة والنزاهة، لا يخشى في الحق لومة لائم أو بطش سلطان، فما كان يراه حقاً يطمئن عليه الشرع ينفذه ولو كان في ذلك غضباً للحكام والسلاطين.

وقد كان "رحمه الله" كريماً جواداً بجانب غيرته على الحق لا يخشى فيه لومة لائم(٣٧)، ومن أهم ميزاته عدم التعصب المذهبي ودعواته المتكررة إلى إتباع النص إن ثبت وصح.

من هذا نرى أن العلماء متفقون على سعة علمه وتقواه وورعه، وأنه أستاذ عصره علماً وديناً وورعاً، بل إنهم يكادون أن يكونوا مجمعين على أنه هو العالم المبعوث على رأس السبعمائة المشار إليه في الحديث المصطفوي وهو قوله عليه الصلاة والسلام: "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها" رواه ابو داود.

● المطلب الرابع: وفاته:

بعد أن أنهى ابن دقيق العيد حياته العلمية والعملية، وأدى رسالة العلم التي حملها بأمانة وصدق، توفي رحمه الله يوم الجمعة الحادي عشر لصفر (٧٠٢) هـ، ولم يذكر أحد ممن كتبوا عنه الظروف والملابسات التي اكتنفت وفاته، وإنما اختصروا على ذكر الزمان الذي مات فيه، والمكان الذي دفن فيه ووصف جنازته ورثائه(٣٨).

قال الأدفوني(٣٩): توفي يوم الجمعة حادي عشر صفر عام اثنين وسبعمائة ودفن في يوم السبت بسفح المقطم، وكان ذلك



يوماً مشهوداً عزيزاً مثله في الوجود، سارع الناس إليه ووقف جيش ينتظر الصلاة عليه، رحمه الله تعالى، وهو ممن تألمت على فوات رؤيته والتحلي بفوائده وبركته.

ثم قال: ورثاه جماعة من الفضلاء والأدباء بالقاهرة وقوص، منهم شعيب بن أبي شعيب والأمير محمد مجد الدين بن اللمطي، وشرف الدين النصيبي.

ولم يذكر أي خلاف بين المؤرخين في تاريخ وفاته أو مكانها، وكانت وفاته عن سبعة وسبعين عاماً قضاها في التعليم والتعلم والتحصيل والإملاء والعبادة، وقضى منها سبع سنوات في القضاء، إلا أنه لم يترك التدريس أثناءها كما وضَحنا ذلك سابقاً.

عاش "رحمه الله" معظماً مبجلاً ومات معظماً معززاً مكرماً، وقد أنجب من الأولاد الذكور عشرة، سماهم بأسماء الصحابة العشرة المبشرين بالجنة.

رحم الله تعالى العالم الجليل تقي الدين بن دقيق العيد وأسكنه فسيح جناته ونفعنا بعلمه النافع الغزير، وجعلنا ممن يلتقي معه في الفردوس الأعلى يوم القيامة إنه تعالى سميع مجيب.

يتبع في العدد القادم ان شاء الله

الهوامش:

(١) الآية (٤٤) من سورة النحل .

(٢) الآية (٣١) من سورة آل عمران .

(٣) الآية (٧) من سورة الحشر.

(٤) السبكي: تاج الدين عبد الوهاب بن علي، طبقات الشافعية الكبرى، ج ٦ ص ٢- ٢٣ الطبقة .

الحسينية (١٣٢٤هجري) بتصرف مختصر الذهبي: شمس الدين محمد، تذكرة الحفاظ، ج٤ ص٤٨١-٤٨٣ دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبقة الرابعة.

(٥) الادفوني: كمال الدين جعفر بن ثعلب، الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد.

ص٥٦٧ -٦٠٢ الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦م، تحقيق سعيد محمد حسن.

(٦) الحنبلي، عبد الحي بن العماد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج٦ ص٥-٦ منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت.

(٧) الادفوني: "الطالع السعيد" ص٤٣٥، المرجع السابق.

(٨) ابن حجر، احمد بن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج٦ ص٢-٢٣ مطبعة المدني، القاهرة بتصرف واختصار.



(٩) الاسنوي: جمال الدين عبد الرحيم بن حسن: طبقات الشافعية ج٢ ص٢٢٧ .

(١٠) السبكي: "طبقات الشافعية" ج٦ ص٣ تحقيق عبد الله الجبوري، بغداد (١٣٩١هـ).

(١١) محمود رزق سليم: عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي، مكتبة الآداب ومطبعتها، الطبقة الثانية ج٢، المجلد الثالث ص٦٧ .

(١٢) محمد رامز عبد الفتاح مصطفى العزيزي: ابن دقيق العيد -عصره -حياته-علمه وأثره في الفقه ص٥٧-٥٩ دار البشير، عمان.

(١٣) محمد رامز عبد الفتاح مصطفى العزيزي: المصدر السابق ص٧٠ .

(١٤) السبكي: "طبقات الشافعية" ج٦ ص٤ .

(١٥) احمد احمد بدوي: الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية مصر والشام ص١٦٨، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٧٢م.

(١٦) ابن حجر العسقلاني: "الدرر الكامنة " ج٤ ص٢١٢ .

(١٧) الاسنوي: "طبقات الشافعية" ج٢ ص١٢٢٩ .

(١٨) محمود رزق سليم: "عصر سلاطين المماليك " ج٢، مجلد ٣ ص٢٩ (بتصرف).

(١٩) ابن رشيد، محمد بن عمر الفهري السبتي: ملئ الغيبة فيما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى مكة وطيبة (رحلة ابن رشيد) مخطوط وموجود الجزء الثالث منه في الجامعة الإسلامية في المدينه المنورة.

(٢٠) النجيبي: القاسم بن يوسف: مستفاد الرحلة و الاغتراب ص٢٠، تحقيق عبد الحفيظ منصور، الناشر الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس.

(٢١) علي صافي حسين: "ديوان ابن دقيق العيد" ص٧٥ .

(٢٢) احمد احمد بدوي: "مجلة الرسالة" ٩٠٩/١٧

(٢٣) علي صافي حسين: "ديوان ابن دقيق العيد" ص٧٥

(٢٤) احمد احمد بدوي: "مجلة الرسالة "١٧/ ٩٠٩ .

(٢٥) الاسنوي: "طبقات الشافعية "ج٢ ص٢٢٩ .

(٢٦) ابن حجر العسقلاني: " الدرر الكامنة " ج٢ ص٢١٧ .

(٢٧) انظر الطبقات للسبكي ج٦ ص٤، وطبقات الشافعية للاسنوي ج٢ ص٢٢٩

(٢٨) الادفوني: "الطالع السعيد " ص٥٩٦ .

(٢٩) السبكي: " طبقات الشافعية " ج٦،ص٤

(٣٠) راجع تفصيل هذه المواقف من كتاب" ابن دقيق " محمد رامز العزيزي ص ٩٣ - ٩٨ .

(٣١) السبكي: "طبقات الشافعية " ج٦، ص٢-٣ .

(٣٢) الادفوني: " الطالع السعيد " ص٥٩٨ .

(٣٣)، (٣٤)، (٣٥)، (٣٦): شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد ص٢١ .

تحقيق محمد عوض هيكل، دار السلام للطباعة و النشر- القاهرة.

(٣٧) سيد يوسف: مقال منشور على الانترنت (www com.gogle.)

(٣٨) العزيزي: ابن دقيق العيد ص ١١٧ .

(٣٩) الادفوني: الطالع السعيد ص٥٩٩ .